



تأثيرات الثورة الفرنسية والحروب النابليونية على القارة الأوروبية

د. أسماء مصطفى محمد دبوس

أستاذ مشارك - التخصص: تاريخ حديث ومعاصر - الكلية: الآداب غريان - الجامعة: غريان

asmamustafadab@gmail.com

الملخص

الثورة الفرنسية واحدة من الثورات الكبرى العالمية التي أعطت مفاهيم جديدة للعالم ، ووضعت في حيز التنفيذ مبادئ عامة كانت قبلها مجرد نظريات من خلالها بدأ النظام في فرنسا يتحطم ، ويظهر على أنقاضه نظام جديد فهي بداية لفترة لم يعد فيها النظام القديم قادراً على الاستمرار والبقاء .

ولم تكن الثورة الفرنسية حدثاً هاماً في تاريخ فرنسا فقط ، وإنما هي أبرز أحداث القارة الأوروبية والعالم في القرنين الأخيرين . لأنها كانت بالفعل نقطة تحول أساسية في تطور النظم السياسية والاجتماعية في أوروبا . فقد وضعت حدًا للنظام الملكي القديم القائم على الاستبداد والمستند على الحق الإلهي في الحكم ، وفتحت الباب أمام نظم ملكية كانت أو جمهورية تقوم على حرية الشعوب والمساواة بين أفرادها .

وتستمد سلطانها من أرادة المواطنين ، وتعمل تحت رعايتهم بشكل أو بآخر ، ومما لا شك فيه أن الثورة الفرنسية اعتبرت من أهم الثورات في العالم ، وذلك راجع حتماً للأثر الذي خلفته هذه الثورة سواء كان ذلك في القارة الأوروبية أم في العالم .

Abstract:

The French Revolution was one of the greatest revolutions in world history. It introduced new concepts to the world and put into practice general principles that had previously existed only as theories. Through it, the old system in France began to collapse, and a new system emerged upon its ruins. It marked the beginning of a period in which the old regime was no longer capable of continuing or surviving.

The French Revolution was not only an important event in the history of France, but also one of the most significant events in European and world history during the last two centuries. It represented a fundamental turning point in the development of political and social systems in Europe. The Revolution brought an end to the old monarchical system based on absolutism and the divine right of kings, and opened the way for monarchical or republican systems founded





on the principles of liberty and equality among citizens These systems derived their authority from the will of the people and operated under their supervision in one form or another. There is no doubt that the French Revolution is considered one of the most important revolutions in history, due to the profound impact it had not only on Europe but also on the entire world.

2026-09-02	2026-08-18	2026-07-26
نشر الورقة:	قبول الورقة:	استلام الورقة:
الكلمات المفتاحية: أوروبا، الثورة، فرنسا، العالم، نابليون		

مقدمة :

جاءت الثورة الفرنسية قبل قرنين من الزمان وليدة للحروب المتصلة التي عرفت أوروبا منذ القرن 12م فصاعداً ، ومن أكبرها حروب فرنسا ضد النمسا منذ 1500 م ، فقد كانت الدول الأوروبية موجهة ضد بعضها البعض ، ولا تعترف بأي قاعدة أو قانون سوى المصلحة والنفوذ ، وقد تحولت تلك السياسة التي كانت سائدة بين الدول في أعقاب الديكتاتورية بأوروبا إلى سياسة خارجية ضد سائر أنحاء المعمورة فيما بعد ، وقد عرفت أوروبا في ذلك الوقت ما يصطلح عليه اسم التحالفات ، وذلك لتحقيق مصالح ظرفية ، ومن تلك الدول فرنسا المتحالفة مع ديكتاتوريات أوروبا منذ العصور الوسطى ، فقد شهد القرن 18م تكتل عدة دول أوروبية لكسر شوكة البحرية البريطانية ، والذي قاد إلى انتصار المستعمرة الأمريكية لكن بريطانيا شهدت فيما بعد ثورة صناعية ، وحملة نهب لما بقي بين يديها من مستعمرات الشيء الذي ساعد على الاستقرار داخلياً مرتكزة على نظامها الديمقراطي وبرلمانها القوي ، وصحافتها الحرة ، وهذا ما يفسر صمودها أمام الثورات التي اجتاحت أوروبا ، ومع تحالف بريطانيا مع بروسيا مما أدى ذلك إلى هزيمة فرنسا وفقدانها مكانتها العسكرية فتنتج عن ذلك تأزم الوضع في فرنسا وصولاً إلى عام 1789م الذي يعده الكثير من المؤرخين نقطة تحول مهمة في التاريخ الأوروبي لكونه حمل في طياته ثورة ضمت مبادئ ونظم مست كافة المجالات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، وما صاحب ذلك من مشاكل وانقلابات وحروب .

ويمكن تحديد مشكلة الموضوع في كونها محاولة لعرض الثورة الفرنسية عرضاً تاريخياً يتناول الظروف التي ساعدت على انتشار الثورة داخل أوروبا ، وموقف القارة الأوروبية منها ، وتأثيرات الحروب النابليونية على القارة الأوروبية .

أسباب اختيار الموضوع :

- تسليط الضوء على محطة هامة في التاريخ الفرنسي خصوصاً ، والتاريخ الأوروبي والإنساني عموماً .
- محاولة المساهمة في إضفاء مجهود علمي تاريخي ، يكشف عن كواليس الثورة الفرنسية ، وأثرها على المجتمع الأوروبي .

إشكالية الموضوع :

يطرح الموضوع الإشكالية التالية :



-ما الظروف التي ساعدت على انتشار الأفكار الثورية داخل أوروبا ، وموقف القارة الأوروبية منها ؟

-كيف أثرت الثورة الفرنسية على القارة الأوروبية ؟

-ما الآثار التي خلفتها الحروب النابليونية على القارة الأوروبية؟

المنهج المتبع :

يعالج البحث موضوع تاريخي ، وقعت أحداثه في حقبة سابقة فالمنهج التاريخي ، هو الأنسب لمعالجة موضوع الدراسة ، من خلال الوقائع ، والأحداث المتعلقة بالثورة الفرنسية من مصادرها العلمية ، ثم عرضها بصورة تتناسب مع طبيعة الدراسة الحالية . كما استخدمنا المنهج الوصفي ، لوصف واقع الثورة وأحداثها وخلفياتها ومن نتائجها على ضوء الأحداث التاريخية وموقف الأوروبيين والفرنسيين .

أهداف الدراسة :

-التعرف على انجازات الثورة الفرنسية وأثرها على العالم .

-التعرف على أهم الأحداث التي بلورة مسار الثورة الفرنسية ، وانعكاساتها على المجتمع الأوروبي .

أهمية الموضوع :

الثورة الفرنسية إنجاز حضاري أوروبي كبير ، تجاوز حدود الجغرافيا في الأرض الفرنسية ، ليشمل بفكره الجريء ، وأطروحاته العقلية ، فيهر العقول ، يأسر القلوب بما يحصله هذا الإنجاز من المعاني الحضارية ، والمقاصد الإنسانية والغايات العالمية ، فالحرية والمساواة والعدالة والقانون والأمة كلها مفردات مثيرة للعقول والعواطف ، فمازالت مبادئ الثورة الفرنسية مقاصد كثير من الشعوب المستضعفة المتطلعة للخلاص من الظلم والاضطهاد ، فيجد المستضعفون خلاصهم في تبني مبادئ الثورة الفرنسية ، والأخذ بأراء فلاسفتها الذين أسسوا لفكرها ، ومهدوا لمبادئها في بداية القرن الثامن عشر الموصوف بعهد الأنوار ، ولهذا فقد اتخذت الثورة الفرنسية وقبلها الثورة الأمريكية مثالين للثورات التي قامت بعدها .

وبناء على المادة العلمية التي تحصلنا عليها ، وبعد تحليلها أعدنا الخطة التالية :مقدمة ، وخمس محاور ، وخاتمة .

فال**المحور الأول** خصصناه لدراسة الظروف التي ساعدت على انتشار الأفكار الثورية داخل أوروبا ، أما **المحور الثاني** فخصص لدراسة موقف الدول الأوروبية من الثورة الفرنسية ،

وأفكارها ، أما **المحور الثالث** فخصصناه لدراسة تأثيرات الثورة على القارة الأوروبية ، وتناول **المحور الرابع** تأثيرات الحروب النابليونية على دول القارة الأوروبية ، وتطرق **الخامس** إلى تقييم إنجازات الثورة الفرنسية ، وأنهينا البحث بخاتمة توضح ما توصلنا إليه من نتائج .

أولاً : الظروف التي ساعدت على انتشار أفكار الثورة

كانت أغلب دول أوروبا ف تلك الفترة تشكو حكم الملكية المطلق على شعوبها ، ووجود الطبقات المتميزة التي كانت تهمين على خيرات البلاد :



أمثال طبقة رجال الدين ، والكنيسة ، تمتعوا باسم الدين بامتيازات لا حد لها ، وبإعفاءات من الضرائب ، والواجبات تجاه الدولة . وكذلك تميزت طبقة الأشراف والنبلاء ف السيطرة على أعلى المراتب ، وتمتعوا بامتيازات كثيرة منها السيطرة على الأراضي الزراعية ، ولهم وحدهم حق شغل المناصب العليا في الجيش ، والإدارة ، وإعفاءات كثيرة من الضرائب تجاه الدولة . (1) (نوار، نغني، 1986: ص 19)

أما الطبقة العامة من الشعب . فكانت تتحمل أعباء الدولة كلها ودفع الضرائب المتزايدة وتقديم أبنائها للحروب ، وخدمة طبقة الأشراف ، وفي نفس الوقت هم محرومون من أبسط حقوق الإنسان الطبيعية . كالحرية ، والمساواة أمام القانون ، وحق اختيار النظام السياسي أو الاقتصادي الذي يوافق رغبتهم ومصالحهم ، فالحريات العامة لا وجود لها إلا ف ضمائر الأحرار ومخيلاتهم .

ففي ظل هذه الظروف التي سبق ذكرها أفكار ومبادئ الثورة أذاً صاغية ومؤيدين داخل أوروبا وخاصة من الطبقة العامة . لأنهم نظروا إليها بأنها الخلاص الوحيد من تلك الأوضاع التي يعيشونها فأصبحت الثورة بالنسبة للشعوب الأوروبية المظلومة والمسلوبة الحقوق مدرسة رائدة ف مجال التحرر والانعقاد .

فتأثرت بها واستنارت بكر من مبادئها وقيمها الجديدة لمعالجة الفاسد من أوضاعها السياسية والاجتماعية (2) (فيشر، 1964: ص 58).

ثانياً : موقف الدول الأوروبية من الثورة الفرنسية

انتشر بين شعوب أوروبا شعور بالخوف والقلق من مبادئ الثورة الفرنسية ، وسرعة انتشارها ، في الدول المجاورة لها ، خاصة في أوساطها السياسية المحافظة وعند حكامها (3) (المقرحي، 1991: ص 78).

فنظرة بريطانيا للثورة كانت واضحة في رسالة بيرك :

"تأملات في الثورة الفرنسية" والتي نشرت في سنة 1790 م . وكان بيرك عضواً ف البرلمان ومنتصياً إلى الأحرار بث في رسالته سخطاً كبيراً على الثورة في نفوس أعضاء حزب المحافظين صاحب الأغلبية البرلمانية وقتها ، والذي كان يدير دفة البلاد (4) (فيشر، 1964: ص 60).

وكانت العلاقة بين النمسا وفرنسا من الأيام الأولى للثورة ، تحفل بصورة متزايدة بالمشاكل والخلافات إلى جانب الخوف من مبادئ الثورة وخطرهما على سلامة العروش ، والأنظمة

الملكية في أوروبا ، والخوف مما نادت به من حق الشعوب ف تقرر مصيرها ، وهو مبدأ يهدد إمبراطورية النمسا في سلامتها باعتبارها تتألف من شعوب عديدة ، مختلفة في قومياتها ولغاتها بالإضافة إلى ما ألحقته بعرض فرنسا وملكته وهي سليله البيت المالكة في فيينا ، ومشكلة أمراء الألمان في الألزاس الذين كان لهم ف المنطقة المذكورة حقوق إقطاعية أقرتها لهم معاهدة وستفاليا 1648 م . فجاءت قرارات أغسطس تجردهم منها دون تعويض عادل ، وكانت مسئولة بالدفاع عنهم لكونهم من رعايا الإمبراطور (5) (نوار، نغني، 1986: ص 50-51).

ورغم الضغوطات المتزايدة على إمبراطور النمسا من شقيقته ملكة فرنسا ، ومطالبته بالتدخل ، ودعوات المهاجرين من الفرنسيين المعارضين للثورة لمساعدتهم على مهاجمة فرنسا .

إلا أن إمبراطور النمسا كان يخاف نتائج الحرب مع فرنسا ، قد تكون طويلة وشاقة ومضنية ، وكذلك كان يطالبه ملوك محافظون خافوا من الثورة على عروشهم ، ورأوا الحل في عمل عسكري مباشر ضد فرنسا ، لوقف انتشار الأفكار



الثورية في أوروبا ومن هؤلاء سادة روسيا وإسبانيا وملك السويد جوستاف ، ولكن إمبراطور النمسا عاجلته الكنية قبل أن يحسم الموقف⁽⁶⁾ (فيشر، 1964:ص27).

فخلفه أبنة فرنسيس (1792-1835م) ، وكان شابًا متحمسًا بادر إلى قبول تحدى الجيرانديين الذين طلبوا منه طرد المعارضين الفرنسيين للثورة من إمبراطوريته ، و رأى في هذا الطلب إعلان الحرب عليه .

فتحالف مع بروسيا لحرب فرنسا ، وكان الجيرانديون هم أصحاب الزعامة في الجمعية التشريعية الفرنسية في تلك الفترة ، وكانوا شديدي الرغبة في الحرب واثقين من النصر معتقدين بمجرد إعلان الحرب على أوروبا ستنهض على الفور شعوبها ضد الحكام المستبدين وستنهز عروش الملوك في كل مكان ، وستغزو مبادئ الحرية والإخاء والمساواة العالم بأسره . مما جر فرنسا إلى الحرب في 20 أبريل 1792م مع إمبراطورية النمسا وبروسيا⁽⁷⁾ (البطريق، نوار، د-ت، ص:400-401).

ومما سبق ذكره يتضح لنا موقف الدول الأوروبية المعادية للثورة وأفكارها خوفًا من تأثيرها على مصالحهم ، وعروشهم جعلهم يحاولون منع إنتشارها ، مما أدى إلى تكوين العديد من التحالفات والتكتلات بين الدول الأوروبية في محاربة فرنسا والقضاء على الثورة فيها .

ثالثًا : تأثيرات الثورة الفرنسية على القارة الأوروبية

كانت الثورة الفرنسية مصدرًا لأفكار جديدة ونظريات جديدة لتنظيم الحكم ، وأسس الدولة ، وما من شك في أنها قد أثرت تأثيرًا عميقًا ، ومستمرًا في التاريخ الأوروبي والتاريخ العالمي بعد ذلك⁽⁸⁾ (المفرحي ، 1991:ص71).

ولقد ظهر للثورة العديد من الدعاة والمبشرين بمبادئها ، والذين انتشروا في وادي الراين وفي بلجيكا . يدعون للحرية ولحق الشعوب في تقرير مصيرها مما لقوا ترحيبًا وتجاوبًا في كل مكان يحلون فيه كما كان لعامل الجوار الذي سبق ذكره أثر فعال في نشر آراء وأفكار الثورة لدى الشعوب المجاورة لها . وهذا بدوره جعل المد الثوري يصل إليها . فقامت الثورة في العديد من المدن منها مدينة (أفنيون) التابعة للبابا التي أعلنت تمردا وحققها في تقرير مصيرها ، وأعلنت الانضمام إلى فرنسا⁽⁹⁾ (بالمر، 1982:ص252-245).

وقد زاد من تأثيرها في أوروبا القانون المدني الذي جاء به النظام الثوري في فرنسا في عهد نابليون ، والذي تضمن مبادئ الثورة الفرنسية ، ووصل المد الثوري إلى إنجلترا أيضًا حيث رحب به أنصار الحرية ، وأطلقوا على أنفسهم طائفة الأحرار ، وعلى الرغم من أنه كان أضعف من المد الثوري الذي أجتاح إيطاليا وألمانيا ، وهذا يرجع كون إنجلترا دولة قومية في الأساس وتتمتع بنوع من الديمقراطية ، ولأنها كانت معارضة لأفكار الثورة ، وخاصة الطبقة الأرستقراطية ورجال الدين⁽¹⁰⁾ (جرانت، تمبلي، د-ت، ص:538).

وكان تأثير الثورة واضحًا في أوروبا ، حيث ظهرت العديد من الثورات الإصلاحية الدستورية ضد الملكيات المستبدة ، ونشوب العديد من الثورات القومية لتصحيح الأوضاع الخاطئة ، ويتضح لنا مدى تأثير الوثيقة العامة لحقوق الإنسان التي أصدرتها الثورة في الأنظمة الأوروبية ، والتي لازالت حتي الآن تمثل ركناً أساسيًا من أركان الدساتير في العديد من الدول القائمة⁽¹¹⁾ (البطريق، نوار، د-ت، ص:377).

وهذا يدل على تميز الثورة الفرنسية عن غيرها من الثورات الأخرى بقدرتها على التأثير في أوروبا ، وقد أعطت لأفكارها ومبادئها طابع العالمية ، ونادت بأنها ثورة كل الشعوب ، ولا شك أن تأثير الحروب التي خاضتها الثورة من أجل نشر مبادئها وأفكارها لا تقل أهمية عن تأثير الثورة نفسها ، فقد تركت بصمات عميقة الأثر في العديد من الدول الأوروبية .



رابعاً : تأثيرات الحروب النابليونية على القارة الأوروبية

لقد رافق نابليون أحداث الثورة الفرنسية منذ بدايتها ، وشارك في بعضها ، وكان له دور مهم في هذه الفترة الطويلة من حياة البلاد . يمكن القول أن تاريخ فرنسا من سنة (1795-1815م) هو تاريخ نابليون بونابرت . هذا الرجل الذي لم يشارك عملياً في الثورة إلا أنه بقي مؤمناً بها ، ومخلصاً لها ، وقد أخذ نجمه في الصعود بسبب انتصاراته العسكرية . فهو الذي استطاع أن يهزم إمبراطورية النمسا ، فأن هذه الانتصارات دفعت فرنسا إلى تبني سياسة توسعية ، بررتها بالرغبة في نشر مبادئ الثورة في أوروبا ، بحيث تضعف قوة الملكية ، والأنظمة الرجعية فيها ⁽¹²⁾ (المقري ، 1991: ص 80-81) .

ويبدو ذلك جلياً عند قدوم نابليون لاحتلال إيطاليا فرأى في نفسه رسولاً للحرية ، ومنقذاً للشعوب ، رافعاً للظلم والاستعباد ، ونلمس ذلك من خطابه الذي وجهه للشعب الإيطالي حيث قال : (أيها الشعب الإيطالي لقد جاء الجيش الفرنسي ليحطم أغلالكم ، وإن الأمة الفرنسية صديقة لكل الشعوب كافة ...) ⁽¹³⁾ (فيشر، 1964: ص 47) .

ففي سنة 1799م صدر دستور جديد بموجبه نصب نابليون القنصل الأول لفرنسا ، وأصبحت جميع السلطات التنفيذية في يده ، فرأى في الحكم الفردي الذي تقق له الحل الأمثل لإخراج فرنسا من الفوضى ، وعدم الاستقرار ، منذ قيام الثورة ⁽¹⁴⁾ (نوار، نعنني، 1986: ص 83-84) .

فكان لحروبه الأثر الكبير في نشر مبادئ الثورة في العديد من الدول التي سيطر عليها والمتحاربة معه . لعبت هذه الحروب دوراً مهماً في إثارة الروح القومية ، داخل القارة الأوروبية . حيث أتضح أن نابليون بعد أن كان الداعي للمبادئ الثورية ، سرعان ما رفع النقاب عن وجهه ، ورجع إلى صورته الحقيقية الاستعمارية ⁽¹⁵⁾ (البطريق، نوار، د: ص 487) .

فأخذ في التوسع على حساب العديد من الدول الأوروبية ، وضمها تحت سيطرته . مما أدى ذلك إلى الثورة عليه ، ولعل أبلغ دليل على ذلك قول الشاعر الفرنسي لمرتتين :

(لقد أثار نابليون القوميات فابتلعت القوميات) فالحروب النابليونية كان لها تأثيرات إيجابية ، وسلبية على القارة الأوروبية .

1- الناحية الإيجابية :

فكان تأثيرها على الدول المحتلة متمثلاً في إنشاء حكومات وطنية متعاونة مع فرنسا ، حيث كان نابليون يفرض على هذه البلدان القانون المدني الفرنسي ، الذي هو من نتاج الثورة ، وكان يباشر حركة الإصلاح الداخلي الشبيهة بتلك التي أحدثتها الثورة في فرنسا ⁽¹⁶⁾ (نوار، نعنني، 1986: ص 36) .

أما تأثير على الدول المحاربة ، والتي لم تخضع لحكم فرنسا المباشر كروسيا وبروسيا ، فقد حدثت فيها محاولة تجديد للدولة لم تكن بعيدة عن روح الثورة ومبادئها .

وأيضاً تأثرت إسبانيا بأفكار الثورة إثر حروبها مع فرنسا ، فأصدرت الدستور سنة (1812م) الذي أوجب إقامة برلمان شامل للبلاد كلها ، يقر الضرائب ، ويسن القوانين ، ويحد من سلطة الملكية والكنيسة ⁽¹⁷⁾ (البطريق، نوار، د: ص 476-480) .



وفي النمسا ، وقعت حركات إصلاح ، تناولت أوجه الحكم والإدارة والجيش وفي بروسيا رفعت الشعارات القومية الشبيهة بشعارات الثورة الفرنسية لتشعر مواطنها بقوميتهم ، ولتقريب الفجوة بينها وبين شعوبها ، حتي تستطيع إن تنتصر في هذه الحروب (18) (المجلد 1، 1982، صص-258-268).

وكذلك تأثرت إنجلترا ، واضطرت إلى توحيد السلطة التشريعية بين إيرلندا وبريطانيا ، ومن إيجابياتها أيضا تأثيرها في أوروبا بنشر مبادئ الثورة المنادية بالإخاء والمساواة والحرية . فأعطتها للجميع ، قضت على نظام الطبقات في المجتمعات الأوروبية التي خضعت لها ، وأفقدت النبلاء امتيازاتهم ، وقلصت نفوذ الكنيسة وألغت سلطاتها السياسي ، وضريبة الأعشار ، وصادت أملاكها ، وأصبح التسامح الديني هو القاعدة والقانون يتساوى فيه الكاثوليكي ، وغيره في جميع الأقطار التي وقعت تحت سيطرتها (19) (نوار، نعنني، 1986، ص: 137). وعمل نابليون في كل قطر ضمه إلى إمبراطوريته بإدخال المبادئ الأساسية للثورة .

وقد وجد أنصارًا ومؤيدين لإصلاحاته من أبناء الطبقات المستنيرة ، ولقد أعطت الحروب النابليونية لبعض المناطق التي وقعت تحت سيطرتها ، وبشكل غير معتمد وحدتها الإقليمية ، مما رسخ العامل القومي فيها . مثل ما حدث في إيطاليا وألمانيا (20) (فيشر، 1964، ص: 49).

2- الناحية السلبية :-

عمل نابليون على تغيير خارطة أوروبا السياسية ، بشكل جذري ففرنسا اتسعت حدودها بشكل لم تعهده في أي عصر من عصورها ، فأصبحت تضم بلجيكا وكل الأراضي الواقعة بين الحدود الفرنسية ونهر الراين . ثم عمل على ضم الساحل الألماني حتي بحر البلطيق الغربي . وفي إيطاليا أستولى على كل الساحل الإيطالي من الحدود الفرنسية حتي روما . ومن خلال هذه الصورة نرى لأوروبا السياسية زمن نابليون خريطة تختلف اختلافاً كبيراً عنها قبل الثورة ، بل أن التوازن السياسي في القارة وهيمنة فرنسا على أمورها يظهران بوضوح .

وهذا يتعارض بشكل أساسي مع مصلحة الدول الكبرى ، وبخاصة إنجلترا وروسيا ، ولعل هذا يوضح لنا الضرورة التي قاتلت بها دول أوروبا الثورة الفرنسية ونابليون طيلة 23 سنة (21) (نوار، نعنني، 1986، ص: 135-136).

وقد خلف نابليون لدول أوروبا آثاراً أشد خطراً ، وأكثر بقاءً في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

خامساً: تقييم إنجازات الثورة الفرنسية

بعد الحديث المتشعب عن الثورة الفرنسية والحروب النابليونية وآثارهما على القارة الأوروبية ، لذلك سنتحدث في هذا العنصر عن تغيير إنجازات الثورة سواء الإيجابية منها أو السلبية ، فالثورة الفرنسية بكل ما حملته من إثارة وإعجاب إلا أنها وقعت في مفاصل عظيمة وإخفاقات تفتقر إلى تقويم لذلك سوف تنقسم العملية التقييمية إلى قسمين الأول عن نجاحات الثورة وهو جانبها الإيجابي ، والثاني عن إخفاقاتها ، وهو جانبها السلبي :

أ- نجاحات الثورة :

-نجحت الثورة – في فترة قصيرة جداً- في تحقيق العديد من أهدافها التي عجزت عن تحقيق مثلها الكثير من المجتمعات الإنسانية .



-تمثل الثورة ثورة العقل الأوروبي على نظام السخرة والاستعباد والظلم ، ممثلا في الملكية المستبدة والكنيسة الرجعية ، والنظام الإقطاعي الجائر (22) (الرفاعي، 1999:ص338).

-تمتاز وثيقة حقوق الإنسان الفرنسية على الدساتير الأوروبية والأمريكية التي سبقتها بصياغتها العالمية ، وخطابها العام ، وأهدافها الإنسانية الواسعة متخطية بذلك حدودها الجغرافية المحلية ، وأصولها العرقية والاثنية (23) (موسنييه أخرون، 1978:ص-ص64-67).

-الثورة الفرنسية صراع بين الطبقات ، وامتازت بأنها برجوازية وديمقراطية بشكل واسع ، وليست برجوازية محافظة يشكل ضيق ، كالثوريين السابقين البريطانيين والأمريكيين .

-أنها وقعت في أقوى دول أوروبا وأكثرها سكانا إذ استبعدنا روسيا .

-كانت هذه الثورة ثورة اجتماعية بامتياز عكس الثورات التي سبقتها .

-تميزت هذه الثورة بأنها كانت مشحونة بالأفكار والآراء والأعمال المتطرفة لدرجة أن ثوار أمريكا ويعاقبة إنجلترا الذين هاجروا إلى فرنسا بسبب ميولهم السياسية المتطرفة ، قد عُُدوا في فرنسا من المعتدلين ثم أن " توماس بين " كان معروفا بأرائه المتطرفة في بريطانيا وأمريكا ، أصبح في باريس من أشد أعضاء حزب الجيرونديين اعتدالا (24) (سوبول، 1989:ص595).

-استطاعت أن تغير أحوال فرنسا السياسية ونظمها الاجتماعية والاقتصادية على حين نجد أن ثورة من ثورة المستعمرات في العالم الجديد لم يترتب عليها إلا التحرر من السيطرة السياسية لكل من بريطانيا وإسبانيا والبرتغال .

-كانت الثورة الفرنسية وحدها من بين الثورات المعاصرة ثورة عامة بمعنى أن جيوشها قد اجتاحت أوروبا لنشر آرائها ومبادئها ، مما كان له بالغ الأثر في سائر الدول ، فكان لصداها وليس لصدى الثورة الأمريكية الأثر العظيم في أحداث الثورات التي أدت إلى تحرير أمريكا اللاتينية بعد عام 1808 م لقد امتد مفعولها بعيداً إلى بلاد البنغال في الهند ، فألهب " رام موهان روى " (25) (المياء، 2014-2015:ص73) .

في فكرة تأسيس أول حركة إصلاحية هندية ، وقد إصر على زيارته لإنجلترا عام 1830 م أن يبحر على سفينة فرنسية معبرا بذلك على تحمسه بمبادئ الثورة الفرنسية في قوله "أول حركة عظي للأفكار في العالم المسيحي الغربي كان لها أعظم تأثير على العالم الإسلامي

" (26) (الرفاعي ، 1999:ص340) .

-في القرن التاسع عشر بدأ لفظ حرية يتسع فينطلق من معناه الضيق المعروف قبل 1800 م بالانقلاب عن قيود الرق والعبودية إلى مفهوم أوسع وأشمل وهو المعنى السياسي الذي كان له أثره في تغيير حياة الشعوب .

-لقد رسمت الثورة الفرنسية الخطط والمناهج لكل الحركات الثورية (الحرية ، المساواة ، الإخاء) .

-كما كان لها الفضل في ظهور الحركات الاشتراكية والشيوعية الحديثة (27) (راشد، 2002:ص10-11) .

ب- إخفاقات الثورة :

-أغفلت وثيقة حقوق الإنسان الحديث عن واجبات الإنسان ، رغم مناداة بعض القساوسة بذلك ، وهذا من شأنه إثارة الأنانية عكس الشريعة الإسلامية التي تقدم القيام بالواجبات على المطالبة بالحقوق (28) (عوض، 1992:ص76).



- لم تشمل الوثيقة الحديث عن حقوق كل من الملونين الأجانب والأقليات الدينية والعرقية ، وسكان المستعمرات الفرنسية التي تنهك حقوقهم من قبل فرنسا ، حيث أبقت على نظام الرق وحرمت غير المالكين للأراضي من حق التصويت (29) (ديورانت، 2002، ص:454).
- خالفت حكومة الثورة بعض مبادئها حين لم تعط الملك حقه في محاكمة عادلة (المتهم برئ حتى تثبت إدانته) (30) (جلال، د:ت:ص:237-238).
- اصطدام حكومة الثورة بالواقع السياسي الصعب ، فانطلاق رجال الثورة في التصفية الدموية لبعضهم لبعض (عهد الإرهاب) في صور مأساوية ، غاب فيها العقل الذي طالما نادوا به قادة الثورة ، فتحولت فرنسا من استبداد الملوك إلى استبداد الزعماء ، فهي خلطة ديكتاتورية على أساس ديمقراطي وهي أخطر من الديكتاتورية التقليدية ، لأنها تقوم تحت إطار القانون والجماعة .
- سعي حكومة الثورة إلى استغلال الصحافة والمنشور لصالحها والحد من بعض حريات (31) (جلال، د:ت:ص:237-238) .
- حظر حكومة الثورة جميع التنظيمات والتجمعات العمالية عام 1791م .
- زحف القائد "نابليون" إلى دول الجوار في أوروبا ثم المشرق العربي حيث قام بحملته ضد مصر وبلوغه فلسطين بدعوى نشر مبادئ الثورة الفرنسية ، مخالفا بذلك موثاق الصداقة وحسن الجوار مع الدولة العثمانية والتي كانت قد احترمت الثورة الفرنسية ومبادئها .
- استخدام " نابليون " نهج النفاق الديني في أبشع صوره مع الشعب المصري ، فقد كان يستشهد بالقرآن والسنة وأصول الدين ليمارس سياسته البشعة في حق المسلمين (32) (نوار، نعتي، 1986، ص:219).
- تحرر المرأة الأوروبية التي نادى به الثورة الفرنسية بعد أن كانت المرأة محرومة حتى من أبسط حقوقها مما أدى إلى إباحة الفساد الاجتماعي والأخلاقي (33) (مورو، د:ت: ص:171-173) .
- عودة الملكية إلى فرنسا مع شيء من التهذيب بعد سقوط نابليون ، رغم كل تضحيات الثورة وإعدام الملك للقضاء على الملكية ، إلا أنها عادت من جديد .
- رغم أن الكنيسة لم تكن عائقا كبيرا في طريق التغيير إلا أن الثورة حاربتها بلا هوادة ، وعزلت تأثيرها عن الحياة العامة ، معلنة بذلك علمانية الدولة برفضها سلطان الله على الناس وبفضل الدين عن الدولة ، مما دفع كثير من الناس نحو نقد الدين وأهله ونشر الإلحاد في المجتمع (34) (الجبرتي، 1322هـ:ص:436-437) .
- أهملت مبادئ جانب الإنسان الروحي ، ودعمت المذهب الفردي المادي وعبرت عن فردية الإنسان من خلال رغبته الملحة في الحرية المطلقة ، بسقوط القيود الدينية والأخلاقية ، فلا يلتزم بشيء إلا ما كان عن ضرورة اجتماعية يفرضها القانون ، حيث أحلت الثورة – بمضمونها الفكري – الإنسان محل الإله فلا الدين والأخلاق تؤثر عليه (35) (راشد، 2002، ص:175-183).
- لقد تحول مجتمع الثورة الديمقراطي إلى مجتمع سلطوي سياسي حيث يستبعد الناس بصورة طوعية دون إجباره من خلال ذوبانهم واندماجهم فيها ، فهي المعبر عنهم والممثل لهم (36) (الرفاعي، 1999، ص:345-349) ، مما يفرض على الفرد بصورة مقنعة على الطاقة المطلقة ، فالمجتمع الديمقراطي بعد الثورة استبدل ديكتاتورية الملك وسلطته الإلهية بدكتاتورية الدولة الديمقراطية .



-تمكين الجميع من التمتع بحرياتهم على قدم المساواة يكاد يكون أمر مستحيل التطبيق ، إذ لابد خضوع فئة لأخرى حتى تستقيم الحياة .

-لقد اعتقدت فرنسا بعد الثورة أنها مؤهلة إلى قيادة العالم نحو الحرية والعدل والمساواة ، وأنها قادرة على تقديم العون للشعوب المستضعفة لتحريرها ، لكن انتهى بها الحال إلى سفك الدماء واغتصاب الأرض والعرض ، وذلك في مستعمراتها سواءً في إفريقيا (كالجزائر أو آسيا (الفيتنام) متناسية مبادئ ثورتها العالمية (37) (كارغاي، 1970: صص-89-90) .

إن الناظر في مجمل النتائج التي أحدثتها الثورة الفرنسية وخلفتها في العالم من حولها يجدها شاملة تحمل صفة العموم ، ويجدها مستمرة تحمل صفة الانتشار ، سواء من خلال أثرها المباشر أو من خلال أفكارها السائرة ، إذ أن فكرة الحقوق الإنسانية مثيرة وجذابة للجميع من قبل كل الفئات والأعراف فهي بذلك ثورة فرنسية بمواصفات عالمية .

الخاتمة :

من خلال معالجة موضوع تأثيرات الثورة الفرنسية والحروب النابليونية على القارة الأوروبية توصلنا إلى النتائج التالية :

1-كان تأثير الثورة الفرنسية في الجوانب السياسية واضحا حيث أعطت مفاهيم وأفكار جديدة تنادي بالحرية والمساواة ، وبحق الشعوب في تقرير مصيرها .

2-وضعت حد للنظام الملكي القديم القائم على الاستبداد ، والمستند للحق الإلهي في الحكم ، وفتحت الباب أمام النظم الملكية أو الجمهورية التي تقوم على حرية الشعوب والمساواة بين أفرادها ، وتستمد سلطاتها من إرادة الشعب .

3-أصبحت هذه الثورة مدرسة رائدة في مجال التحرر ، والأنعتاق في نظر الشعوب المسلوبة حقوقها .

4-استطاع نابليون بونابرت أن يخمد الصراعات الداخلية ، ويوحد الجميع بفتح جبهات قتالية مع بعض دول الجوار والمشرق العربي لنقل التنافس الداخلي بين الأحزاب إلى نزاع عسكري خارجي .

5-ساهمت الثورة في حدوث تغيير ، وتجديد في أنظمة الدول المحاربة لها مثل روسيا وبروسيا لا يختلف عما نادى به الثورة ، كما تم إصدار دستور في إسبانيا يحد من سلطة الملكية والكنيسة . أما النمسا فقد حدثت فيها حركات إصلاح في مختلف أوجه الحكم والإدارة والجيش ، وفي إنجلترا تم توحيد السلطة التشريعية بين إيرلندا وبريطانيا ، ومن هنا يتضح لنا الآثار والبصمات العميقة التي تركتها الثورة الفرنسية على القارة الأوروبية والعالم بأسره .

6-الموقف الأوروبي ضد الثورة الفرنسية ، والذي تجسد في التحالف الأوروبي للقضاء على الثورة .

7-تصدير الثورة الفرنسية إلى الخارج عن طريق حروب الثورة الفرنسية من أجل نشر مبادئها من جهة واسترجاع مستعمراتها من جهة أخرى .

8-وثيقة حقوق الإنسان الفرنسية أفضل ما توصلت إليه قريحة البرجوازيين آنذاك من الحقوق الإنسانية ، فقد أبرزت بقوة مفردة الحرية الفردية ، وسيادة الأمة ، وسلطة القانون، وأما ما ورد فيها من مبادئ إيجابية .

9-رغم إنجازات الثورة الإيجابية إلا أن لها العديد من المثالب من مخالفتها لمبادئها في مواقف



كثيرة إثارها الحروب ، إغفال العديد من الحقوق ، إضافة إلى صراعات قادتها الدموية التي أسفرت عن مآسي يصعب تجاوزها ، فالشعب الفرنسي بعد الثورة استبدل الظلم بالظلم .

10- استحداث ثلاث دساتير خلال عشر سنوات من الثورة ، دستور 1791 ، دستور 1793 ، دستور 1795 ، وهذا في حد ذاته إنجاز للثورة .

11- كلمة الإرهاب كانت تستخدم في تلك الفترة من المتشددين من أنصار الجمهورية ، واليوم التصقت هذه الكلمة بالمتشددين من الإسلاميين ، مما نستنتج أن الإرهاب كان منبه أوروبا الغربية وليس العرب .

12- إلغاء المسيحية أي فصل الدين عن الدولة والإقرار بالعلمانية .

ورغم أننا حاولنا عرض تطورات الثورة الفرنسية والحروب النابليونية وآثارها على القارة الأوروبية ، إلا أننا نفتح أفق البحث واسعا للبحث في جزئيات في هذه الثورة الكثير من الأحداث الغزيرة ، والتغيرات فرنسية وأوروبا وعالميا .

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم :

1- سورة المائدة : الآية 64.

2- سورة الأعراف: الآية 168.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة :

1- أ.ج. جرانت تمبرلي، هارلود : (1990) ، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950 م) ج 1 ، ترجمة : بهاء فهمي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة

2- البطريق ، عبد الحميد ، نوار ، عبدالعزيز : (د-ت) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، دار النهضة العربية ، بيروت.

3- بالمر ، روبرت : (1982) ، الثورات الكبرى في التاريخ "الثورة الفرنسية وأمتداداتها" ، ترجمة ، هنريت عبود ، دار الطليعة للنشر ، بيروت. 4- جلال ، حسن: (د-ت) التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر: سيطرة أوروبا على العالم ، ج 4 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، د-ت .

5- الجبرتي : (1322هـ-1904م) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، مج 4 ، د-ن ، مصر.

6- راشد ، زينب عصمت : (2002) ، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1789-1917م) ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، الإسكندرية .

7- سيبريدوفيتش ، سريب : (د-ت) ، حكومة العالم الخفية ، تر: مأمون سعيد ، ط 7 ، دار النفائس ، د-م.

8- سوبول ، ألبير : (1989) ، تاريخ الثورة الفرنسية ، تر: جورج كوسي ، منشورات البحر المتوسط — بيروت — باريس ، منشورات عويدات ، بيروت-باريس.

9- عوض ، لويس: الثورة الفرنسية (1992) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د-م.



- 10- عجاج ، نويهض: (1984) ، بروتوكولات حكماء صهيون : تر: عباس محمود العقاد ، دار القرآن الكريم ، بيروت. 11- غروتون ، برنار: (2007) ، فلسفة الثورة الفرنسية ، تر : عيسى عصفور ، منشورات عويدات ، بيروت .
- 12- فيشر، هيربرت: (1964م) تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضيع ، دار المعارف ، مصر.
- 13- فريج، غازي محمد: (1411هـ) النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة ، دار النفائس ، بيروت .
- 14- كروزيه ، موريس ، وآخرون : (1998) تاريخ الحضارات العام ، تر: يوسف داغر وفريد داغر ، ط4 ، منشورات عويدات ، بيروت.
- 15- كارغاي ، وليام : (1970) ، أحجار على رقعة الشطرنج ، تر: سعيد جزائري ، د-ب ، دار النفائس ، (د-م).
- 16- المقرحي ، ميلاد: (1991) تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من النهضة إلى الحرب العالمية الثانية ، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس.
- 17- محمود ، أمين عبدالله: (1984) ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، الكويت .
- 18- مورو ، محمد: (د-ت) ، تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية إلى الثورة (1789-1952م) ، مكتبة الإيمان ، المنصورة 19- محمود ، أمين عبدالله: (1984) ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، الكويت .
- 20- موسنييه ، رولان وآخرون : (1978) تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر عصر الأنوار) ، مج5، ط2 ، تر: يوسف أسعد داغر وفريد داغر ، منشورات عويدات ، بيروت-باريس.
- 21- نوار، عبدالعزيز ، نعتي ، عبدالمجيد: (1986) التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت.
- 22- نعمة، ماجدة وآخرون: (1990) ، الموسوعة السياسية ، ج6 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- 23- وايريل ، ول ديورانت : (2002) قصة الحضارة : عصر نابليون تاريخ الحضارة الأوروبية من (1789-1815م) ، تر: عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، ج42، دار الجيل ، بيروت ، ج3 .
- ثالثاً: الدوريات
- 1- الرفاعي ، أحمد باسل (1-شعبان 1420هـ-نوفمبر 1999) ، حقوق الإنسان في فلسفة الثورة ، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ، العدد19، مج12 ، مكة المكرمة -السعودية . الشيخ ، ج42، دار الجيل ، بيروت.
- رابعاً: الرسائل الجامعية :
- 1- لمياء ، مني: (2014-2015م) ، تطور الثورة الفرنسية (1789-1799م) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة محمد خيضر (بسكرة) ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية -قطب شمتة ، شعبة التاريخ .